المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنفضاهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المتعطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مثنَّيان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

ردٌّ على القصاري

نفعنا الله بعلوم الحبر الهمام الفاضل اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان فقد اطلعنا على كتاب لهُ سماهُ القصاري بحث فيهِ بحثاً جميلاً في ثلثٍ من المسائل التاريخية السورية وضمنهُ شيئاً كثيراً من الفوائد الادبيَّة والعلمية فكان تركيهُ للمشهور من علمهِ وفضلهِ . الاَّ اننا مع الاعتراف لهُ بسعة الاطلاع ودقة النظر وحسن النقد لا نراهُ قد اصاب المرمى في حل المسئلتين الاولى والثانية اريد بهما اللغة الشائعة في فلسطين زمن المسيح واللغة العامة في بر الشام زمن الفتح الاسلامي . ولما كنت من المشتغلين في دراسة التاريخ سيما عن بلادنا السورية اتخذت من هاتين المسئلتين مجالاً للبحث مجتنياً الامتاع للمسئلة الثالثة لانها مذهبية بحتاً ونحن لا نرى في ابحاثنا الاَّ الوجه العلمي . ولا نتوخى الاَّ الفائدة المقصودة من المذاكرة ولا ندعي لكتابتنا عصمة ولا لقولنا فضلاً وانما هي الآراء نبسطها لاهل النقد وذوي العلم ورأيهم فيها موفَّق ان شاء الله

فنقول ان من تصفح كتاب القصاري رأى ان حضرة مؤلفهِ الفاضل يصوِّر اللغة السريانية للناس في مظهرٍ جديد ألا وهو انها هي لغة الكلدان والاشوريين والبابليين والسريان والعبرانيين (صفحة ٣ و١٤) والحال ان علماء اوربا الذين سبروا غور الحقائق ودأبوا منذ قدمنا على اظهار خفيات الدهور قرَّروا غير ذلك تقريراً مستنداً الى البرهان وهاك شيئاً مما اخذناهُ عن ثقاتهم

اولاً ان السريان يختلفون عن الكلدان جنساً ولغةً ودليلنا على ذلك انهم باجماع آراء الباحثين من الجنس السامي اما الكلدان فمن نشأةٍ حاميَّة . واما لغتهم فكانت في اصلها كاكثر اللغات

القديمة اي تجتمع كلمات متضاربة الاصول تبعد عن السريانية بعدها عن العبرانية والعربية وسواها من اللغات الشرقية

وحسبنا في ذلك ثبتًا ما قالهُ العلامة رولنسن في تاريخهِ المشهور: ان اللغة التي اظهرتها لنا الآثار لا تتألف من تلك الجرائم الاربعة على السواء (اراد بها الحامية والسامية والآرية والتورانية) وانما لا تخفى على الناقد آثار اختلاطها مع بعضها فكلماتها يغلب فيها الاصل الكوشي واما تركيبها فتورانيّ واقرب القريبات اليها لغة الهرا في بلاد العرب ولغتا الفلا والوالتما في الحبشة ولغة مصر القديمة على انها في بعض ظروفها تشبه اللغات التترية والتركية والمجرية (وكلها تورانية الاصل) ولها شبهٌ ببعض اللغات السامية والآرية الخ. (كتاب السلطنات القديمة المجلد الاول الدولة الاولى الفصل الرابع)

ثانيًا ان السريان يختلفون عن الاشوريين جنسًا ولغةً ولئن انتقلوا جرثومةً ألا ترى ان اشور وارام كليهما من ولد سام فكلٌّ منهما صار ابًا لقوم هذا ابو الاشوريين وذاك ابو الاراميين اي السريان اما اللغة الاشورية فساميّة ايضًا وقد بحث اهل العلم في كتاباتها الاثرية وهاك ما قالوهُ عنها بلسان الثقة الذي لا ينازع اريد بهِ العلامة رولنسن: ولقد مرَّ بنا ان الشهادة الاثريّة تؤيد التقليد المأثور بأن اللغة الاشورية ساميّة لا ريب فيها وكلماتها شبيهة بكلمات اللسن الساميّة الاخرى ومثل ذلك اصول اللفظ فيها وتركيب جملها وغير ذلك. ومع هذا فلهذه اللغة خصائص مميزة صيرتها لسانًا منفردًا من العائلة الساميّة وليس فرعًا من فروعها فما هي بالعبرانية ولا العربية ولا الفينيقية ولا الكلدية ولا السريانية ولكنها من شقيقاتهن جمع لاقترابها من كلٍّ منها لوحدهِ ومنها جميعًا في غير شيء من احوالها. على انها بالاجمال تقرب من العبرانية كثيرًا ولكنها تبعد عن السريانية اي الارامية بعدًا شاسعًا مع انها كانت تجاورها مكانًا انتهى (السلطنات القديمة المجلد الاول الدولة الثانية الفصل الخامس)

ثالثًا يختلف السريان لغةً وجنسًا عن البابليين الذين هم اخلاط من الكلدان والاشوريين غلبت عليهم الصبغة الساميّة وقد عادوا للنهضة بعد الخمول على انهم لم يغيروا اللغة الاشورية وانما ظلوا عليها كما يستدل من آثارهم المخلّدة على الصخور والاجرّ. ولكن كرور الزمن احدث فيها بعض التغيير على انهُ لم يبعد الشقة كثيرًا بينها وبين المصدر الاشوري ودليلنا في ذلك اتفاق علماء الآثار على وحدتها والله اعلم

رابعًا ان السريان يختلفون عن العبرانيين جنسًا ولغةً وذلك لا يختلف فيهِ اثنان على ان العبرانيين عادوا من الجلاء البابليّ عارفين لغة آسريهم لانهم قضوا بين ظهرانيهم اثنين وسبعين

عامًا واللغتان على قاب قوسين او ادنى لكن تلك المعرفة ما لبثت ان اضمحلت من بينهم تاركة شيئًا من اثرها في لغة اعقابهم

فيتضح مما تقدم ان اللغة السريانية غير اللغات المذكورة وان اهل بلاد الجزيرة ليسوا سريانًا (صفحة ١٤) وبالنتيجة يسقط كل برهان أُسند الى احدى هاتين النقطتين فتأمل

ومن انعم النظر في حالة الامم الذين عمّروا سوريا منذ اول الوجود رأى قبائل شتّى من جراثيم مختلفة لكل منها شأن يخصّه دون الآخر. وحسبك ما كان من شؤون الحثيين والحماتيين والنينويتيين والعمونيين والموآبيين والجرجيين والسبئيين والعناتيين والرفائيين وغيرهم اولئك الذين قامت دولهم في القدم وكان كلٌّ منهم في منعة تقيه من غارة جيرته وقد طالوا في استقلالهم الداخلي الآماد الطويلة. وهو غنيٌّ عن البيان ان التحاسد فاعلٌ في الامم فعلهُ في الافراد فليس يستطاع لاحداها ان تتداخل في شؤون الاخرى ما لم تغلبها على السيادة فيها. ونحن نعلم ان البطون الارامية التي احتلت البقاع لم يكن لها شأن مذكور في سوريا بل نرى التاريخ يحسبها من الامم الضعيفة فيها التي لم تكن تقوى على صدّ الغارة عنها الّا اذا استغاثت بجيرانها وحالفتهم على نصرتها ناهيك ان الاثر الاشوري يمثلها لنا بارزة مع نصرائها لمقاتلة الجنود الاشوريين ولكن بعشرين الفًا من المقاتلة ليس الّا وذلك غاية ما تنال يدها من البسطة والقدرة. فاذا كان هذا حد سطوتها ونفوذها اتُرى يتأتى لها الفوز بنشر لغتها وبالنتيجة آدابها بين مجاوريها. على انا لا ننكر على الامة السريانية ظهورها بابهة المُلك منذ الجيل الحادي عشر قبل المسيح حتى اواسط الجيل الثامن وذلك بعد ان قضت اثني عشر جيلًا في مقرّها السوريّ منذ ولّى زعيمها عوص بن ارام هربًا من وجه كدرلعومر العيلاميّ حين اجتاح بلاد النهرين ولكن تلك الابهة الملكية لم تكن لتخلد لها اثرًا في البلاد لان ملوكها لبثوا كل زمانهم تحت الجزية لاشور الّا حين كانوا يمرقون من الطاعة فيستهدفون لوبال القصاص. وقد جاءهم احد الفاتحين الاشوريين ذات مرة فابلى فيهم ابلاء حسنًا واخذ منهم بعض القبائل العاصية وسرّحهم في القفر بين البلدين حيث لبثوا في حال البداوة فعادوا الى الفطرة

ولم تكن سوريا تخلو من دولة عزيزة الشأن نافذة الكلمة لا تدع مجالًا لنفوذ السريان فيها اذ ان النينويتيين كانوا يجاورونهم منذ وجودهم في ضاحية الشام وكلٌّ يعلم الخطة التي بلغ اليها التمدن النينوي بحيث كان يتعذر مباراته واما الاسرائيليون فقد ازدهت دولتهم اثناء اعتزاز السريان في دمشق ولكن ما من قائل بتعادل الامتين ادبًا وسياسة وقدرًا

ناهيك ان سوريا كانت منذ القديم مطمحًا لانظار الفاتحين من ملوك مصر واسيا ومع

منعة دولها الصغيرة في داخليتها لم تكن مستقلة عن الولاء لغير واحد من السلاطين العظام

وبين كانت سوريا مستعمرة بمدن المصريين والكلدان والاشوريين والبابليين والفينيقيين والعبرانيين كانت الامة السريانية ضعيفة الحول او في حال الجاهلية او الانحطاط اوكانت بحالة لم تترك لنا اثرًا نستدل به عليها

واخر العهد بازدهاء الدولة السريانية مقتل رصين ملك دمشق في اواسط الجيل الثامن قبل المسيح وذلك حين اذ كانت امة العبرانيين في ابان مجدها

فاتضح من هذا ان الامة السريانية لم تكن ذات سؤدد عظيم في سوريا ولا نشرت لغة آدابها ولا لغتها ولا عوائدها بل لبث كل ذلك محصورًا بين تباعها ومريديها بين كان العبرانيون يتكلمون ويكتبون بلغتهم والفينيقيون كذلك

ولبث هذا حال سوريا الى ان وفدت عليها جيوش الاسكندر فاحتلت البلاد واقامت في كل من المدن والمعاقل والحصون شحنة من ذويها وكان من نوايا الفاتح العظيم ان ينشر الآداب اليونانية في كل صقع وناد الا ان القدر عاجله فلم يتسنَّ له اتمام ما سعى اليه سعيًا حثيثًا فترك انفاذ هاتيك الاماني ارجا لو الذين اقتسموا الملك بينهم وقاموا بشؤونه قيامًا حسنًا يوم اذ كان على وسوريا سلوقس نيكانور رئيس الدولة السلوقية فاختلطت العناصر اليونانية بالسورية وصارت الاداب والعوائد واللغة كلها يونانية لا ريب فيها. يعلم ذلك كل من قرأ شيئًا من تاريخ السلوقيين على انَّا زيادة في البيان نؤثر عن اهل العلم ما اتصلوا اليه بالبحث الطويل والتنقيب بين خبيئات الادهار وهاك بعضًا من كلٍّ نقتبسه عن احد مؤرخي اليونان في خلاصة كتبها عن تاريخ الاسكندر (تيابانس المجلد الثاني القسم الثامن الفصل الثامن) قال: ان الصناعة والعلم اليونانيين اللذين كانا قد شرعا بالتقلص تدريجًا من بلاد اليونان اخذا بواسطة الاسكندر وخلفائه بالنمو والازدهاء في برغاموس وافسس وانطاكية وصيداء وغزة وترسوس والاسكندرية وبالاجمال في كل اسيا الصغرى وسوريا ومصر ومع ان هذه البلاد لم تأتِ من الشعر والتاريخ والفلسفة مأتى اليونانية الاصلية فنتاجها من ذلك كان فاخرًا اذ ادّى لحفظ ذلك الاصل سليمًا ولشرحه وافهاء فوائده. ناهيك ان الصناعة اليونانية لم تكن في تلك المواطن احطَّ من صناعة البلاد الاصلية بخلاف العلوم العالية كالرياضيات والفلك والطبيعيات فانها كانت اعظم بما لا يقاس مما بلغت اليه في اليونان الاولين. وعليه فان المبادئ اليونانية لم تنتشر انتشارًا بسيطًا فقط وانما تحكمت تحكمًا تامًّا. وقد عمّت اللغة اليونانية كثيرًا من تلك الاقطار الاسيوية البعيدة ما يحسبه بعضهم مكذوبًا فيه ولكن لا مراء في صحته بل ان اللغة اليونانية بلغت بلاد اثيوبيا في

جنوبي مصر وصارت لغة اللغة الرسمية وقد طبعت ايضاً على سكة بلاد باكتريانا وصناع اليونان زينوا بالفخر زخرفهم صروح ملوك ارمينيا وبرثيا والملك الارمني ارتافسدس الفرنسوي بالغة اليونانية . ومثل ذلك كان صبية الفرس والسوسيانيين والجدروسيين ينشدون فاجعات اوربيدس . وبما بذلته المدن اليونانية التي اختطها الاسكندر وخلفاؤه من الجهد الجهيد صار اللسان اليوناني لغة الحكومة والآداب والتجارة بل لغة كل الاعمال العالية النبيلة . وكذلك انتشر في الشرق الدين اليوناني وظهر تمثل المعبودات اليونانية بالاسيّة والمصريّة القديمة نتج من هذا الاتحاد بينها اضمحلال الخصائص المحلية المميزة لتلك الالهة واصبح الراي العام بكرور الايام معدًّا للاعتقاد بالوحدانية حتى اذا كرّت العصور الثلاثة ونردي بكلمة الخلاص في اسيا اولاً كانت تلك الامم مستعدة لقبول ذلك الراي المستقيم بوحدانية الباري تعالى . وبما ان الناس كانوا يتكلمون لغة واحدة كان انتشار الانجيل سهلاً الى درجة تقضي بالعجب واليونانية احسن اللغات فنوناً واكثرها اتقاناً ولذلك توفرت فيها المعدات لايضاح حقائق الدين المسيحي . انتهى

وزد على هذا ان نظام الدولة السلوقية كان بوجب انتشار اليونانية . ذلك بانها كانت تقسم البلاد الى عمالات لا يترأس الواحدة منها الاّ اليوناني وان الجيش السلوقي كان يتألب من السوريين وسائر الشرقيين ولكن لا يتأمرهُ الاّ اليونان ولا يدرب الاّ باليونانية وعلى النظام اليوناني كل ذلك يجعل البلاد السورية خصوصاً وسائر الانحاء الشرقية التي ملكها الاسكندر مجالاً لتقدم لغة اليونان

وفي تلك الآونة كانت نشأة الدولة البطليموسية في مصر ومن ملوكها بطليموس فيلادلفوس الذي رأى ان يترجم التوراة من العبرانية الى اليونانية فاشار عليهِ احد رجالهِ الحاذقين واسمهُ ديمتريوس ان يستدعي من اليهود من يقوم بهذا العمل المهم وهاك ما اثر يوسيفوس اليهودي المؤرخ المشهور مما ورد في التقرير المرفوع من ديمتريوس الى الملك قال (كتاب ١٢ ف ٢) واذا وقع ذلك لدن جلالتكم موقع القبول فليأمر بكتابة لعظيم الاحبار يطلب اليوان يختار من عظماء كل سبط من قومهِ اكثرهم معرفة بتلك الشرائع وايرسلهم فيتذاكروا سواء حتى تتم لهم الترجمة الدقيقة التي ترضي جلالتكم انتهى . فكتب الملك الى عظيم الاحبار يقول : ولكي نزيد الناس بياناً عمّا نشعر بهِ من الميل لليهود في كل العالم عزمنا ان نترجم شرائعكم من العبرانية الى اليونانية وان نضع الترجمة في مكتبتنا الخ . فاجابهُ بقولهِ فيا ايها المولى اذا اخترنا للترجمة من كل سبط ستة رجال انتهى

ونحن نرى ان هذه المحررات النفيسة تبرهن ما يأتي

اولاً ان اللغة اليونانية كانت شائعة بين اليهود على اختلاف اسباطهم بدليل الاستغناء عن شرط معرفتها في الذين يتعهدون الترجمة مع انهُ اشرط عليهم ان يكونوا من عظماء قومهم والعارفين في شرائعهم

ثانياً ان عدد العارفين باللغة اليونانية حق معرفتها كان كبيرًا بدليل وجود ستة من المختارين لحكمتهم ومقامهم وتدينهم في كلٍّ من الاسباط الاثني عشر

ثالثاً ان اليهود في العالم اليوناني اي الخاضع للدول اليونانية الاصل كانوا يعرفون اليونانية ويشعرون بميل فيلادلفوس اليهم واحسانهِ عليهم بهذه الترجمة

رابعاً ان اللغة العبرانية الشائعة بين اليهود لذلك العهد في تلك الفديمة التي كتبت بها الاسفار المقدسة وبذلك ايضاً ينتفي القول بحلول الكلدانية محلها بعد الاسر البابلي

ولا يخفاه ان عبارة المؤرخ المذكور تشهد على الامة اليهودية شهادة صادقة لا ريب فيها لانهُ أعرف الناس بشؤونها واحوالها وذلك لا يختلف فيهِ اثنان (سيأتي البقية)

طرابلس الشام جرجي يني

مسألة بيانية

قال البيانيون ان المخاطب يخاطب بالكلام المؤكد اذا كان منكرًا للحكم فلو كان زيدٌ مثلاً منكرًا فضل بونابرت واردت تبيينهُ لهُ خاطبتهُ بقولك يا زيدُ ان بونابرت لرجلٌ فاضلٌ . فيا ترى ما هي الفائدة من التاكيد في هذا الخطاب لان زيدًا اذا كان موقنًا بالمتكلم ومعتقدًا بصدق كلامهِ يكتفي بايراد الخبر خاليًا من كل تاكيد ولو كان منكرًا لذلك الحكم كل الانكار كالنصراني المؤمن فانهُ لا يصدق بل ينكر كل الانكار شأن كل انسان انتقال الجبال من اماكنها ولكنهُ لو قيل لهُ في الكتاب ان جبل صنين كان منذ القديم في قبرس ونقلهُ السيد المسيح الى موضعهِ هذا لصدَّق بدون تاكيد . واذا كان لا يقدَّر كلام المتكلم بشيء اقتضى على المتكلم ايراد الادلة واقامة البراهين لكي يثبت لهُ فضل بونابرت . فالتاكيد بان واللام وما شاكلهما لا يجدي نفعًا فعلى هذين الاعتبارين لا اعتبار للتاكيد في هذا المقام . فليفدنا اذًا علماء الادب ما هو قصد البيانيين بذلك . واذا كانوا لا يقصدون سوى ما ذكرنا أفلا يكونون في غلط مبين هذا واني ارجو الكاتب في هذه المسألة ألاَّ يعتمد على نقل الاقوال بل يعتمد على قوة البرهان بحيث يجد العقل السليم فيهِ مقنعًا بيروت ه . ث

لغز اول

يا سادة الافضال يا من لهم ... في ذروة العلياء اعلى مقام
ما اسمٌ رباعيٌّ يرى رأسهُ ... تعنو لهُ دومًا رقاب الانام
في جملٍ ساواهُ مجهودنا ... في بسطو عشرٌ وعشرٌ تمام
اذا فصلنا الرأسَ عن جسمهِ ... فذاك فعلٌ وزنهُ وزن قام
وان حذفنا الربعَ مع قلبهِ ... نعل هما ليل الدجى والظلام
مبداهُ حرفٌ واسمُ زجريهِ ... حثُّوا بهيًا عند سيرٍ فهام
ثانيهِ حرفٌ انما رسمهُ ... شبيهُ منشارٍ بدا في النظام
كذاك منهُ ثالثٌ في الهجا ... حرفٌ ورقمٌ اهيفٌ في القوام
وان ترم باقيهِ او رابعًا ... فانظر تجدهُ سار خلف الغمام
فامنن بحل اللغز يا فاضلاً ... ودم بمجدٍ تاج كلِّ الكرام

طنطا — عبد الله فريج

لغز ثانٍ

ما اسمٌ ثلاثيٌّ غدا ... في الكائناتِ لهُ ثبوت
قد احرزتهُ الانثيا ... آلُ التواضع والقنوت
فاذا تقدم آخرٌ ... منهُ فصياهُ بنوت
واذا قطعنا رأسهُ ... فتراهُ حبًّا لا يموت

بعلبك — مخايل رستم

ثوب ينجي من الغرق

اذا صحَّ ما ورد حديثًا في جريدة العلم للكل الفرنسوية يكون الانكليز قد اخترعوا في هذه الايام اختراعًا كبير الفائدة وهو لباس لحمتهُ من لحيٍ كالفلين وسداتهُ من الصوف او الحرير او الكتان او القنب حسب الاقتضاء. وهو يقبل الصبغ كسائر المنسوجات فلا تختلف هيئتهُ على لابسهِ عن هيئة غيرهِ من الاردية التي يلبسها ركاب السفن من ملاحين وضابطة ومسافرين. ولبسهُ ليس اعسر من لبسها وثقلهُ قلما يزيد عن ثقلها غير انهُ يمتاز عليها كلها بأنهُ يبقي لابسهُ طافيًا على وجه الماء قدر ما يشاء ولو لم يكن يقدر على السباحة واما هي فتجعل بلابسها الى الغرق اذا كان لا يحسن السباحة او تثقل عليهِ اذا كان يحسنها. قيل وقد جرّب في بلاد الانكليز وفرنسا فارضى المجرّبين